﴿صنع الله الذى اتقن كل شيء﴾

(هذه)

رسالة في فضيلة العلوم و الصناعات

للحكيم ابي نصر محمد بن محمد

ابن طرخان الفارابى رحمه الله

وجعل الجنة مثواه المتوفى

سنة تسع و ثلاثين

و ثلاث مائة

﴿الطبعة الاولى﴾

بمطبعة دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بمدينة

حيدرآباد الدكن سنة (١٣٤٠) هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

فصل

قال ابو نصر محمد بن محمد الفار ابي رحمه الله — فضيلة العلوم و الصناعات انما تكون باحدى ثلاث — اما بشرف الموضوع — و اما باستقصاء البراهين واما بعظم الجدوى الذي فيه سواء كان منتظراً او محتضراً — اما ما يفضل على غيره لعظم الجدوى الذي فيه فكالعلوم الشرعية و الصنائع المحتاج اليها في زمان زمان و عند قوم قوم — و اما ما يفضل على غيره لاستقصاء البراهين فيه فكالهندسة — واما ما يفضل على غيره لشرف موضوعه فكعلم النجوم — وقد يجتمع الثلاثة كلها او الاثنان منها في علم واحد كالعلم الالهى *

فصل

قد يحسن ظن الانسان بالعلم الواحد فيظنه اكثر و احسن و احكم

واوضح

و اوضح مماهو فذلك اماالتقصير و نقص يكونان في طبعه فلا تقدر معهما على الوقوف على حقيقة ذلك العلم و امالانه لم يبلغه مايعاندالذى عنده — و اما لفضيلة المستنبطين لهوالمتمسكين به — و امالكثرتهم — و اماالحرص الانسان على نيل مايرجوانه يحصل من ذلك العلم و جلالة فائدته و عموم النفع فيهلوصح وتحقق — و امالاجتماع اكثر هذه الاسباب فيه و قد يخرج مثل هذا الظن الانسان الى قبول ماليس بكلي على انه كلي و ما ليس بمنتج من القياسات على انهمنتج وماليس ببرهان على انهبرهان

﴿ فصل ﴾

اذا وجد شيئان متشابهان ثم ظهر ان شيئا ثالثا هو سبب لاحدهما فان الوهم يسبق ويحكم بانه ايضاً سبب للآخر فذلك لا يصح في كل متشابهين اذ التشابه قد يكون لعرض من الاعراض وقد يكون بالذات و القياس الذي يتركب في الوهم فيوجب ما ذكر انه قياس مركب من قياسين — ومثال ذلك ان الانسان مشاءوالانسان حيوان والمشاء حيوان والفرس شبيه بالانسان في انه مشاء فهو ايضاًحيوان و هذا لا يصح في جميع المواضع اذالقفنس ابيض وهو حيوان والاسفيداج ابيض لكنهليس بحيوان

﴿ فصل ﴾

امورالعالم واحوالهنوعان (احدهما) امورلها اسباب عنها تحدث وبها توجد كالحرارة عن النار و عن الشمس توجد للاجسام المجاورة والمحاذية لها وكذلك سائر ماشبههما (والنوع الآخر) امور اتفاقية ليست لها اسباب معلومة كموت انسان او حياته عند طلوع الشمس

او عند غروبها * فكل امر له سبب معلوم فانه معدلان يعلم و يضبط و يوقف عليه * و كل امر هو من الامور الاتفاقية فانه لا سبيل الى ان يعلم و يضبط و يوقف عليه البتة بجهة من الجهات — والاجرام العلوية علل و اسباب لتلك وليست بعلل و اسباب لهذه *

﴿ فصل ﴾

لو لم تكن في العالم امور اتفاقية ليست لها اسباب معلومة لا رتفع الخوف و الرجاء و اذا ارتفعا لم يوجد في الامور الانسانية نظام البتة لا في الشرعيات و لا في السياسيات لانه لو لا الخوف و الرجاء لما اكتسب احد شيئا لغده و لما اطاع مرؤوس لرئيسه و لما غنى رئيس بمرؤوسه و لما احسن احد الى غيره و لما اطيع الله و لما قدم معروف — اذ الذى يعلم جميع ما هو كائن في غد لا محالة على سكون ثم يسعى سعيا فهو عابث احمق يتكلف بما يعلم انه لا ينتفع به *

﴿ فصل ﴾

كل ما يمكن ان يعلم او يحصل قبل وجوده بجهة من الجهات فهو كالعلوم المحصلة و ان عاقت عنه عوائق اوتراخت به المدة — و اما ما لا يمكن ان يكون به تقدمة معرفة فذلك الذى لا يرجى الوقوف عليه الا بعد وجوده *

﴿ فصل ﴾

الامور الممكنة التي وجودها ولا وجودها متساو يان ليس احدهما اولى من الآخر لا يوجد عليها قياس البتة اذ القياس انما يوجد له نتيجة واحدة فقط اما موجبة و اما سالبة و اي قياس ينتج الشيء و ضده فليس يفيد

علما

علما لانه انما يحتاج الى القياس ليفيد علما بوجود الشيء فقط او لا وجوده من غير ان يميل الذهن الى طرفي النقيض جميعا بعد وجود القياس اذ الانسان من اول الامر واقف بذهنه بين وجود الشيء ولا وجوده غير محصل احدهما فاي فكر او قول لا يحصل احد طرفي النقيض ولا ينفي الآخر فهو هدر وباطل *

﴿ فصل ﴾

التجاريب انما ينتفع بها في الامور الممكنة على الاكثر لا غير * واما الضروريات والممتنعات) فظاهر من امرهما ان الروية والاستعداد والتأهب والتجربة لا تستعمل فيهما وكل من قصد لذلك فهو غير صحيح العقل * واما الحزم فقد ينتفع به في الامور الممكنة في الندرة وفي التي على التساوي *

﴿ فصل ﴾

قد يظن بالافعال والآثار الطبيعية انها ضرورية كالاحراق في النار والترطيب في الماء والتبريد في الثلج وليس الامر كذلك لكنها ممكنة على الاكثر لاجل ان الفعل انما يحصل باجتماع معنيين (احدهما) تهيؤ الفاعل للتأثير (والآخر) تهيؤ المنفعل للقبول فمهما لم يجتمع هذان المعنيان لم يحصل فعل ولا اثر البتة كما ان النار وان كانت محرقة فانها متى ما لم تجد قابلا متهيأ للاحتراق لم تحصل الاحتراق وكذلك الامر في سائر ما اشبههما * وكلما كان التهيؤ في الفاعل والقابل جميعا اتم كان الفعل اكمل * ولولا ما يعرض من التمنع في المنفعل لكانت الافعال والآثار الطبيعية ضرورية *

فصل

لما كانت الامور الممكنة مجهولة سمي كل مجهول ممكنا وليس الامر كذلك اذ العكس في هذه القضية غير صحيح على المساواة لكنه على جهة الخصوص والعموم فان كل ممكن مجهول وليس كل مجهول بممكن ولاجل الظن السابق الى الوهم ان المجهول ممكن صار الممكن يقال بمعنيين احدهما ماهو ممكن في ذاته والآخر ماهو ممكن بالاضافة الى من يجهله وصار هذا المعنى سبباً لغلط عظيم و تخليط مضر حتى ان اكثر الناس لا يميزون بين الممكن والمجهول ولا يعرفون طبيعة الممكن *

فصل

ان اكثر الناس الذين لا حنكة (١) لهم لما وجدوا امور المجهولة بحثوا عنها وطلبوا علمها ونقروا عن اسبابها حتى توصلوا الى معرفتها وصارت لهم معلومة فاحسنوا الظن بما هو ممكن بطبعه وظنوا انه انما يجهلونه لقصورهم عن ادراك سببه وانه سيوصل الى معرفته بنوع من البحث والتفتيش ولم يعلموا ان الامر في طبيعته ممتنع لان يكون به تقدمة معرفة البتة بجهة من الجهات اذ هو ممكن الطبيعة وما هو ممكن فهو بطبعه غير محصل ولا محكوم عليه بوجوده او لا وجوده *

فصل

الاسماء المشتركة قد تصير سبباً للاغلاط العظيمة فيحكم على اشياء بما لا يوجد فيها لاجل اشتراكها في الاسم مع ما يصدق عليه ذلك الحكم كالاحكام النجومية * فان قولنا الاحكام النجومية مشتركة لما هي

(١) الحنكة بالضم التجربة ١٢ محيط المحيط ولسان العرب

ضرورية

ضرورية كالحسابيات والتقديريات منها * ولما هي ممكنة على الاكثر كالتاثيريات الداخلة في الكيف * ولما هي منسوبة اليها بالظن والوضع وبطريق الاستحسان والحسبان * وهذه في ذواتها مختلفة الطباع وانما اشتراكها في الاسم فقط * فان من عرف بعض اجرام الكواكب وابعادها ونطق بذلك فقد يقال انه حكم حكم نجومي فذاك داخل في جملة الضروريات اذ وجوده ابدا كذلك * ومن عرف ان كوكبا من الكواكب كالشمس مثلا اذا حاذت مكانا من الامكنة فانه يسخن ذلك المكان ان لم يكن هنالك مانع من جهة قابل السخونة ونطق بذلك فقد حكم ايضاً بحكم نجومي وهو داخل في جملة الممكنات على الاكثر * ومن ظن ان الكوكب الفلاني متى قارن او اتصل بالكوكب الفلاني استغنى بعض الناس او حدث به حادث ونطق بذلك فقد حكم ايضاً بحكم نجومي وهو داخل في جملة الامور الظنية والاستحسانية والحسبانية * وطبيعة كل حكم من هذه الاحكام مخالفة الطبيعة الباقية فاشتراكها انما هو في الاسم فقط وكذلك قد يلتبس ويشتبه الامر فيها على اكثر الناس اذهم غير محنكين ولا متدربين ولا مرتاضين بالعلوم الحقيقية اعني الضرورية البرهانية *

﴿ فصل ﴾

مشاهدات الاجرام المضيئة العلوية مؤثرة في الاجرام السفلية بحسب قبول هذه منها كما يظهر من حرارة ضوء الشمس وكثرة ضوء القمر وضوء الزهرة وما يظهر من فعلها انما هو بتوسط اضوائها المبثوثة (١) لا غير *

(١) المبثوث المبسوط والمنتشر ١٢ محيط المحيط

فصل

القدماء مختلفون في الاجرام العلوية هل هي بذواتها مضيئة ام لا فبعضهم قالوا ليس في العالم جرم مضيء بذاته سوى الشمس وكل ما سواها من الكواكب يستضيء منها واستدلوا على صحة قولهم بالقمر والزهرة فانهما ينكسفان للشمس حيث حالتا فيما بينها وبين البصر وبعضهم قالوا ان جميع الكواكب الثابتة مضيئة بذواتها وان السيارة مستضيئة من الشمس فعلى اي هاتين الجهتين كانت من تأثيرها بتوسط ضوئها الذاتية او المكتسبة غير مستنكر ولا مدفوع *

فصل

معلوم ان الكواكب متى استجمعت انوارها مع ضوء الشمس على جسم من الاجسام السفلية اثرت فيه اثرا مخالفا للاثر عند تفردها عنه وذلك مختلف بالاكثر والاقل والاشد والاضعف والازيد والانقص وبقدر ارتباط ذلك الجسم في الازمنة المختلفة لقبول ذلك الاثر وايضا فان بين الاجسام تفاوتا في القبول * وهذه هي الخواص التي موجودة وفعلية وان كانت غير مضبوطة بمقاديرها واوقاتها على الاستقصاء والاستيفاء *

فصل

العلل والاسباب اما ان تكون قريبة واما ان تكون بعيدة (والقريبة) معلومة مدركة مضبوطة على اكثر الامور * وذلك مثل حمى الهواء من انبثاث ضوء الشمس فيه (والبعيدة) قد تتفق ان تصير مدركة معلومة مضبوطة * وقد تكون مجهولة فالمضبوطة المدركة منها كالقمر تتلئ ضوءا وتسامت خرافيستد فيسقي الارض فينبت الكلا

فيرتعها الحيوان فيسمن فيرنح عليها الانسان فيستغنى وكذلك ما اشبهها *

فصل

لا تستنكر ان نحدث في العالم امور لها اسباب بعيدة جداً فلا تضبط لبعدها فيظن بتلك الامور انها اتفاقية وانها من حيز الممكن المجهول مثل ان تسامت الشمس بعض الاماكن الندية فترتفع عنها بخارات كثيرة فتنعقد منها سحائب وتمطر عنها امطار وتتكون بها اهوية فتعفن بها ابدان فتعطب فيرثهم اقوام فيستغنون غير الذى يزعم انه قد يوجد سبيل الى معرفة وقت استغناء هؤلاء القوم ومقداره * وجهته من غير اقتفاء السبيل الذى ذكرت مثل تفاؤل اوعيافة او استخراج حساب او مناسبة بين اجسام او اعراض فهو مدع ما لا يذعن له عقل صحيح البتة *

فصل

امور العالم واحوال الانسان فيها كثيرة وهي مختلفة فمنها خير ومنها شر ومنها محبوب ومنها مكروه ومنها جميل ومنها قبيح ومنها نافع ومنها ضار فاي واضع وضع بازاء كثرة افعاله كثرة من امور العالم مثل حركات البهائم اواصوات الطيور اوكلمات مسطورة وفصوص معمولة اوسهام منشورة اوآسام مذكورة اوكلمات من حركات النجوم وما اشبه ذلك مما فيه كثرة فانه قد يصادف بين تلك الاحوال وبين ما وضع مما ذكر اي كثرة كانت مناسبة يميس بها بين هذه وبين تلك * ثم قد تتفق فيها اشياء تعجب الناظر فيها والمتأمل بها الا ان ذلك لا عن ضرورة ولا عن وجوب ينبغي للعاقل ان يعتمدها وانما هو

اتفاق يركن اليه من كان في عقله ضعف اماذاتي او عرضي فالذاتي هو ما يكون في الانسان الغبي الذى لاتجارب معه امالصغر سنه و اما الغباوة طبعه و العرضي هو ما يكون للانسان عند ما يغلب عليه بعض الآلام النفسانية مثل شهوة مفرطة او غضب مفرط او حزن او خوف او طرب او ما اشبه ذلك *

﴿ فصل ﴾

مزية حركات الاجرام العلوية والمناسبات التي بينها على ماسوى ذلك من اصوات الطيور و حركات البهائم و خطوط الاكتاف و جداول الاكف و اختلاجات الاعضاء و سائر ما يتفائل و يتطير بها و منها انما هو بمعنيين اثنين احدهم هو ان تلك الاجرام هي مؤثرة في الاجسام السفلية بكيفياتها فهى لذلك مظنون بها انها مؤثرة ايضا لاتصالاتها و انصرافاتها و ظهورها وغيبوبتها وتقاربها و تباعدها و الآخر انها ثابتة بسيطة شريفة بعيدة عن الفسادات *

﴿ فصل ﴾

ليت شعري لما و جدت النغم التاليفية بعضها منافرة و بعضها ملائمة و بعضها اشد ملائمة و بعضها اشد منافرة ما الذى يوجب ان يكون حلول الكوكب في الدرجات التى تناسب في العدد تلك النغم ايضاحالها في المساعد و المناحس كذلك مع ما هو من المتفق عليه ان تلك الدرجات و تلك البروج انما هي بالوضع لا بالطبع و ليس هناك البتة تغير و تخالف طبيعي *

فصل

الم تعلم ان الاستقامة والاعوجاج والنقصان والكمال التي تقال في مطالع البروج انما هي بالاضافة الى اماكن باعيانها لا جل تلك الاماكن لا انها في انفسها ذوات اعوجاج واستقامة وكمال ونقصان وسائر ما اشبهها * فاذا كان الامر كذلك فما الذي يوجب ان تكون دلالتها على الاجرام السفلية من الحيوانات والنباتات بحسب تلك التاثيرات التي قيل فيها وان صح ذلك في ذواتها فهو يوجب شيئا غير ما هو داخل في التاثيرات الداخلة في باب الكيف *

فصل

من اعجب العجائب ان يمر القمر فيما بين البصر من الناس باعيانهم في موضع من المواضع فيستر بجرمه عنهم ضوء الشمس وهو الذي يسمى الكسوف فيموت لذلك ملك من ملوك الارض * ولو صح هذا الحكم واطرد لوجب ان كل انسان اذا استتر بسحاب او اي جسم كان عن ضوء الشمس فانه يموت لذلك ملك من الملوك او يحدث في الارض حادث عظيم * وذلك ما تنفر عنه طباع المجانين فكيف العقلاء *

فصل

بعدما اجتمع العلماء واولو المعرفة بالحقائق على ان الاجرام العلوية في ذواتها غير قابلة للتاثيرات والتكونات ولا اختلاف في طباعها فما الذي دعا اصحاب الاحكام الى ان حكموا على بعضها بالنحوسة وعلى بعضها بالسعادة ان كان مادعاهم الى ذلك الوانها وحركاتها البطيئة والسريعة فليس ذلك

تستقيم في طريق القياس اذليس كل ماشبهه بعرض من الاعراض فانه يجب ان يكون شبيها به بطبعه وان صدر عن كل واحد منهما ما يصدر عن الآخر *

فصل

لو وجب ان يكون كل ما كان لونه من الكواكب شبيها بلون الدم مثل المريخ دليلا على القتال واراقة الدماء لوجب ان يكون كل ما لونه احمر من الاجسام السفلية ايضاً دليلا على ذلك اذهي اقرب منها واشد ملائمة * ولو وجب ان يكون كلما حركته سريعة وبطيئة من الكواكب على التباطؤ والتسارع في الحوائج لوجب ان يكون كل بطيء وكل سريع من الاجرام السفلية ادل عليها اذ هي اقرب منها واشبه بها واشد اتصالا كذلك الامر في سائرها *

فصل

ما اعمى بصر من نظر في امر البروج فلما وجد الحمل به يبتدأ في تقديرها حكم انه يدل على رأس الحيوان وخصوصاً الانسان ثم لما كان الثور يتلوه حكم بانه يدل على العنق والاكتاف وكذلك الى ان انتهى الى الحوت حكم بانه يدل على القدمين * اما كان ينبغي ان ينظر بعينه السخينة وعقله المذهول الى الحوت وهو يتصل بالحمل والى القدمين وهم غير متصلتين بالرأس فيعلم ان حكمه غير مطرد في ذلك اذ اعضاء بدن الحيوان موضوعة على الاستقامة والبروج على الاستدارة وليس بين المستقيم والمستدير مناسبة * لكن من اعظم المصائب ان الضرورة تدعو الى التفوه بمثل هذا الطعن الذي لا يدري هل الطعن اضعف ام المطعون غير ان الشر يدفع

بالشر

بالشر * ولولا ان الاشتغال بامثال هذه المقابلات والمعاندات مما يتعطل به الزمان لاتيت منها جملة *

فصل

من حكم بان زحل هو ابطأ الكواكب سيرا والقمر اسرعها سيرا لم يقلب الحكم ان زحل اسرعها سيرا اذ مسافته اطول مسافات الكواكب سواها والقمر ابطأها اذ مسافته اقرب مسافات تلك *

فصل

هب ان القمر وسائر الكواكب ادلة على الامور والاحوال على ما وضعه اصحاب الاحكام فلم قالوا ان الامور التي يراد ان تكون خفية مستورة ينبغي ان تتعاطى في وقت الاجتماع لاضمحلال ضوء القمر اما علموا ان ضوء القمر على حالته لم يتغير ولم يلحقه زيادة ولا نقصان وانما ذلك بالقياس الينا لا غير * (وكذلك) ما قالوه في الامتلاء والاستقبال * ومهما لم يلحقه في ذاته تغير فما الذي يجب ان يلحق ذلك التغير ما هو دليل من الامور على ما وضع *

فصل

لما كانت الكواكب والشمس في ذواتها لا حارة ولا باردة ولا رطبة ولا يابسة باتفاق من العلماء فما معنى الاحتراق الذي ادعوا في الكواكب التي تقرب من الشمس * (وحيث) وضعوا الشمس دليلا على الملوك والسلاطين فلم لم يحكموا بان الكواكب التي هي دليل على نوع من انواع الناس مثل عطارد الذي وضعوه دليلا على الكتبة او على من يكون صاحب وجاهة اذا قرب من الشمس ان يكون له تمكن من السلطان

وقرب اليه و زلفى لـكنهم جعلوا ذلك منحسة *

﴿ فصل ﴾

من ظن ان هذه تجارب عليها وجدت دلائل هذه الكواكب وشهاداتها فيعمد الى سائر ما وضع وليقلبها مقلوبا في المواليد والمسائل والتحاويل فان وجد بعضها يصح وبعضها لا يصح على ما عليه حال ما وضع على ما وضع فيعلم ان ذلك ظن وحسبان واستحسان وغرور

﴿ فصل ﴾

لو ان احدوان كان من الاستهتار باحكام النجوم و الايمان بها واليقين فيها بغاية ليس وراءها غاية وهو يقطع امر مما به لاجل حكم يحكم له به وان عاين في طالع مولده او مسئلته جميع الشهادات التي بها يستدل وعليها يعول مثل اخراج مال او ترك حزم في حرب و اخذ ادفي سفر او ما اشبه ذلك * واذا كان الامر على هذا السبيل فما اشتغالهم بهذا الفن الا لاحدى ثلاث اما التفكه والولوع واما التكسب والتسوق والتعيش به واما الحزم مفرط وعمل بما قيل ان كل مقبول محذور منه — هذا آخر ما وجد من التذاكير بخط ابي نصر اثبتها لنفسي و كتبتها لك لتتأملها لان تنشط لذلك و الله الموفق *

قد تم طبع هذه الرسالة بعون الله تعالى في اواخر شهر جمادى الآخرة
سنة (١٣٤٠) هجرية في عهد الآصف السابع لا زالت
شموس دولته طالعة و انوار افاداته لامعة
بمطبعة دائرة المعارف النظامية في
حيدر آباد الدكن



al-Fārābī

Risalat fi Fadila al-ulum was
Sina'at.